نصوص النصائح والحكم والأمثال على الآثار الإسلامية

لما كانت النفوس[١] معرضة للخطأ؛ كان لا بد للإنسان من وجود ما ينبه عليه ويرشده إلى ما يصلحه ويسدده. ولذلك جاء الشرع المطهر بالأمر بالنصيحة التي تقوم على حب الخير للمنصوح والرغبة في استقامة حاله وصلاحها كما جعلها داخلة في كل الأمور الدينية والدنيوية.

وكان بذل النصيحة من أخلاق أنبياء الله- عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم- فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم[٢] في سورة الأعراف إخبارا عن نوح -عليه السلام-: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وذكر على لسان هود [عليه السلام]: ﴿وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨]، وهذا صالح [عليه السلام] يقول مخاطباً قومه: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف:٧٩]، وعن شعيب (عليه السلام) يقول لقومه: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٩٣]. وهذا نبينا الكريم ﷺ يقول: "الدين النصيحة"، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٣]، وعن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[٤]، وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة [رضي الله عنه] عن نبينا ﷺ قال:" قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي إلي النصح لي"[٥]، وذُكر أن رسول الله ﷺ قال: "كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمراً

---

(١) أجد من واجبى تقديم الشكر الجزيل والثناء ووافر التقدير والاحترام إلى العلامة الجليل د./ أحمد عبد الرازق أحمد أستاذ الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة عين شمس لتفضله بقراءة مسودات هذا البحث، وإبداء ملاحظاته القيمة التى أخذت بها بكل سرور وإعزاز.

(٢) النووى (الامام ابي زكريا يحي بن شرف الدمشقي ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، رياض الصالحين، تحقيق: حسن شاكر، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٩١.

(٣) الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح سنن ابي داوود، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، حديث رقم٤٩٤٤، ص٢١٣. ذكر الإمام الحافظ في شرح الأربعين النووية عن أبي داود صاحب السنن أن حديث النصيحة أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه، وقال الحافظ أبو نعيم: هذا حديث له شأن، وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين. والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع، فمعنى النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم. السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي ت: ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ضبط وتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٣، ٣٤.

(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الترغيب والترهيب، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٣٣٧.؛ الألباني، صحيح سنن أبي داوود، حديث رقم ٤٩٤٥، ص٢١٣.

(٥) رواه الطبراني. الروياني (الامام الحافظ أبي بكر محمد بن هارون ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م) مسند الروياني، ضبط وتعليق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، الرياض، ١٩٩٥م، ج ٢، رقم الحديث ١١٩٣، ص٢٧٦.

بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله عز وجل[١]"، كما قال أيضاً: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر"[٢]، وروي عنه كذلك قوله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[٣]، كما قال ﷺ أيضاً: "لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٤].

مما سبق يتضح لنا أن رسولنا الكريم ﷺ بيّن أنَّ النصحَ واجبٌ للناس كافة، وذلك بأن تتحرى مصلحتهم في جميع أمورهم بقدر وسعك، وذلك مما يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُثاب المرء عليه أيضاً، لذا عُدت النصيحة دعامةً من دعامات الدين الإسلامي، بل هي عماده وقوامه[٥]، وأصبح من الواجب على كل مسلم بذل النصيحة للمسلمين أفراداً وجماعة.

ومن أهم نماذج تطبيقات النصيحة خلال العصر الإسلامي تسجيل بعض النصائح ضمن الكتابات والنقوش المسجلة على جدران المباني وأسطح التحف الفنية بالإضافة إلى النقود الإسلامية، وهو ما سنتناوله فيما يلي:

أولاً: العمارة الإسلامية

شهدت العمارة الإسلامية ظاهرة جديدة منذ القرن ٥هـ/ ١١م هي تسجيل بعض النصائح التي تتمثل، إما في اقتباسات من بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو ترد على هيئة بعض الحكم والأمثال وأبيات من الشعر على جدران المنشآت الدينية جنباً إلى جنب مع آيات القرآن الكريم،[٦] وكانت البداية الأولى في شرق العالم الإسلامي، فقد ورد حديث ضمن نصوص كتابات محراب خشبي من مسجد "اسكودار *Iskodar*" الذي يُنسب إلى فترةٍ مبكرةٍ من القرن ٥هـ/١١م، كما زخرت قبة دفن السلطان أولجايتو بالسلطانية[٧] ٧١٣هـ/ ١٣١٣م بالكثيرِ من الأحاديث الشريفة، منها على سبيل المثال:

---

(١) الخطيب التبريزى (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامى، الطبعة الثانية، بيروت، حديث رقم ٢٢٧٥، ص٧٠٣.؛ الألبانى (محمد ناصر الدين)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، حديث رقم ٤٢٨٣، ص ٦٢٢.

(٢) حديث حسن رواه الترمذي نصه: "والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثمَّ لتدعنه فلا يستجيب لكم". التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم٥١٤٠، ص١٤٢٢؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٧٠٧٠، ص ١١٨٩؛ صحيح سنن الترمذي، مكتبة المعارف، حديث رقم٢١٦٩، ص ٤٦٠.

(٣) الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ج ٢، حديث رقم ٨٦٥، ص٥٢٢.

(٤) الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ٢٠٠٠م، ج ٢، حديث رقم ١٧٨٠، ص٣٤٠.

(٥) النووى، رياض الصالحين، ص ٩١.

(6) Sheila S. Blair. Islamic Inscriptions, p. 216.

(٧) عن نص هذه الكتابات راجع: هوشنگ ثبوتي، معماري سلطانية در گذرگاه هنر، تهران، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص ١٠٦-١٠٩.

قولُ النبى ﷺ "المصلي يناجى ربه"[١]، وقوله أيضاً: "طلب العلم فريضة على كل مسلم[٢] ومسلمة"، وقوله كذلك "المؤمنين يوم القيامة في ظل صدقتهم"[٣]. كما وردت بعض الأحاديث أيضاً ضمن كتابات مؤرّخة بسنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م نُقشت داخل الإيوان الغربي في المسجد الجامع في أصفهان كقوله ﷺ[٤]: "من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً مثله في الجنة" [٥]، وقوله: [٦] "أحب البلاد إليَّ الله مساجدها[٧]".

وسرعان ما أصبحت نصوص الأحاديث النبوية أكثر شيوعاً في زخرفة المباني الدينية، وأضيفت إليها بعض الحِكَم والأمثال، ومن ذلك كتابات مدفن السلطان أولجايتو في السلطانية ٧١٣هـ/ ١٣١٣م الذي ورد على محرابه النص التالي: "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة"[٨]، وهو نفس النص الذي سُجل أيضاً في مسجد جوهر شاد في مشهد ٨٢١هـ/١٤١٨م، وعلى رقبة قبة مجموعة أبو النصر بارسا في بلخ ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م،[٩] ومن ذلك أيضاً عبارة

---

(١) أخرجه البخاري ونصه: "إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن". صحيح البخاري، رقم٥٣١.؛ الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ج ٤، رقم ١٦٠٣، ص ١٣٣. ابن حجر، فتح الباري، ج ٢، ص ١٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ونصه: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". الألبانى (محمد ناصر الدين)، تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، المكتب الإسلامي، الرياض، ١٩٨٤م، حديث رقم٨٦، ص٤٨.

(٣) أخرجه ابن خزيمة وأحمد ونصه: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس". الألباني، تخريج أحاديث مشكلة الفقر، حديث رقم٨٦، ص٤٨. وروي أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الصدقة تطفئ عن أهلها حرَّ القبور، وإنما يستظل المؤمنُ يوم القيامة في ظل صدقته". حديث حسن أخرجه الطبراني والبيهقي. المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٤.

(٤) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه ونصه: "من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة". صحيح البخاري، حديث رقم ٤٥٠. الألبانى الألبانى (محمد ناصر الدين)، صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، رقم ٦٠٢، ص١٢٤. النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب)، كتاب السنن الكبري، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، بيروت، ١٩٩١م، ج١، حديث رقم ٧٦٧، ص ٢٥٥. ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٥٤٤.

(٥) ورد هذا الحديث ضمن كتابات الإيوان في التصويرة التي تمثل ليلى والمجنون في المدرسة من مخطوط خمسة نظامي (٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م) المحفوظ في متحف المتربوليتان، بالاضافة إلى حديث آخر "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". صلاح أحمد البهنسي، فن التصوير في العصر الإسلامي، القاهرة ٢٠٠٧م، ج ٢، لوحة ٧٥.

(٦) سيد كمال حاج سيد جوادي، مساجد إيران، دراسة تاريخية حضارية اثارية فنية، ج ١، طهران ١٩٩٦م، ص ٢١٧.

(٧) نص الحديث: "أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها". الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ١٦٧، ص ٩٥.

(٨) هوشنگ ثبوتي، معماري سلطانية در گذرگاه هنر، ص ١٠٩. من الأخطاء الشائعة أن هذه العبارة من الأحاديث النبوية الشريفة، وهذا غير صحيح؛ حيث لم يرد ذكرها في كتب الصحاح. شبل إبراهيم، الكتابات الأثرية، ص ٢٤٨. ولكنها اقتباس من حديث رسول الله ﷺ: "ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، حديث رقم٤٣٩، ص ٨٠٠؛ عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(9) McChesney (R. D.), Architecture and Narrative: The Khwaja Abu Nasr Parsa Shrine, Part 2: Representing theComplex in Word and Image, 1696-1998, Muqarnas, vol. 19, 2002, p. 105, fig. 20.

نسبت إلى الرسول الكريم ﷺ وانتشرت بصورة كبيرة على العمائر في شرق العالم الإسلامى، وهى: "عجلوا بالصلاة قبل الفوت والتوبة قبل الموت".(١)

ومن أشهر العمائر التي وردت عليها هذه العبارة رقبة قبة جامع ومدرسة بيبي خانم في سمرقند ٨٠١-٨٠٧هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٤م، كما وردت أيضاً على واجهة مدفن تومان آقا ٨٠٨-٨٠٩هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦ بشاه زنده، بالإضافة إلى عبارة "لا عز إلا بطاعة الله"(٢)، وسجلت كذلك على جدران مسجد حكيم بأصفهان ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م، فى حين ورد على جدران مسجد آقانور باصفهان ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م عبارة "المؤمن فى المسجد كالسمك فى الماء، والكافر فى المسجد كالطير فى القفص"(٣).

وبمرور الوقت انتقلت كتابة مثل هذه النصائح من حكمٍ وأمثالٍ واقتباسات من أحاديث نبوية شريفة إلى بعض دول غرب العالم الإسلامي وشاعت اعتباراً من القرن ٨هـ/ ١٤م، فمصر على سبيل المثال لم يُعرف بها هذا النوع من الكتابات قبل العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) الذي ظهرت فيه كتابة محفورة في الحجر أعلى المدخل الرئيسي لجامع أحمد المهمندار ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م نصُّها "من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل"(٤) (لوحة ١)، كما جاء على محراب مدرسة بدر الدين العينى ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م العبارة نفسها التي سبق ظهورها في محراب مدفن أولجايتو ومحراب مسجد جوهر شاد وهي "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة"(٥) (شكل١)، ووردت عبارة "كل نفس ذائقة الموت عجلوا بالصلاة قبل الفوت والتوبة قبل الموت" أعلي واجهة باب المزينين الذي أضافه عبد الرحمن كتخدا الي الجامع الأزهر عام ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣م.

شكل(١) كتابة علي محراب مدرسة بدر الدين العيني (٨٣١هـ/١٤٢٨م). عن:
Laila Ibrahim, Bernard O'Kane, the Madrasa of Badr al-Din Al-'Ayni.

---

(١) الألباني (محمد ناصر الدين)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الرياض ١٩٩٢، ج ١، حديث رقم ٧٥، ص ١٧٤.

(٢) تنسب هذه العبارة إلى الإمام علي بن أبي طالب. شبل إبراهيم، الكتابات الأثرية، ص ٢٤٣، ٢٥٠، ٣٤٠، شكل ٦٥، لوحة ١٣١.

(٣) غادة عبد المنعم الجميعي، مساجد أصفهان في العصر الصفوي عهدى الشاه عباس الأول وعباس الثانى، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٤٩٢.

(٤) شاهنده فهمي كريم، جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٩٥. تؤكد هذه الكتابة أن المنشأة كانت مدرسة ولذا تعرف بالمدرسة المهمندارية.

(٥) هوشنگ ثبوتي، معماري سلطانية در گذرگاه هنر، ص ١٠٩.
Laila Ibrahim, Bernard O'Kane, the Madrasa of Badr al-Din Al-'Ayni and its Tiled Mihrab, Annales Islamologiques, Institut francais d'archeologie orientale, 24, 1988, p. 267.

ثانياً: التحف الفنية الإسلامية

الفخار

ازدهر في مصر خلال العصر الإسلامي صناعة أنواع من الفخار للاستعمال اليومي، وكان موطن صناعتها ولا يزال مصر القديمة (الفسطاط)، وامتازت هذه الأنواع بأنها ذات طابع شعبي، بسبب بساطتها وقلة تكاليفها، ورغم عدم خلوها في الوقت نفسه من حسن الذوقِ ودقةِ الصناعة، وروعة التخيُّل والابتكار،[١] وحمل بعضها كتابات كوفية ذات طابع نُصحي واضحٍ على هيئة حكمٍ وأقوالٍ مأثورة وأحياناً أبيات من الشعر.

ومن بين هذه الأنواع نوع غفل من الطلاء عُثر علي الكثير من أوانيه في حفائر الفسطاط بمصر، غفل من الطلاء الزجاجي، وهو مصنوع من فخار أصفر ضارب إلى الخضرة يُطلق على الواحدة من أوانيه اسم قلة أو برادة أو شربة أو بردقة، كانت تستخدم أصلاً في تبريد مياه الشرب في مصر وفي غيرها من الأقطار الشرقية مثل الشام والعراق، بمعنى أنها كانت تقوم بمهمة البرادات حالياً[٢].

وأغلب هذه القلل الفخارية صغيرة الحجم، رقيقة الجدران، ترك سطحها الخارجي غفلاً من الزخرفة التي اقتصرت على شبابيكها الداخلية المثبتة عادة في المنطقة الفاصلة بين نهاية الرقبة وبداية البدن، أو قرب الشفة العليا للرقبة[٣]، إذ كان يزين هذه الشبابيك زخارف مفرغة ومحزوزة، نشاهد بينها نقوشاً نباتية أو رسوماً هندسية، بعضها بسيط والبعض الآخر مركب، بالإضافة إلى الأشكال الآدمية والحيوانية ورسوم الطيور والأسماك وغيرها من رسوم المنازل والقوارب ... إلخ، فضلاً عن الكتابات العربية[٤].

والكتابات العربية الواردة على شبابيك هذه القلل التي أمدتنا بها مدينة الفسطاط اشتملت على كتابات بالخطين الكوفي والنسخ، يهمنا منها الكتابات النسخية، فعلى الرغم من أنها نقشت بخطوط بسيطة لا أناقة فيها ولا إعجام، فوق أرضية من المعينات الدقيقة المنتظمة المفرغة، مما جعل البعض يعتقد أنها ليست عنصراً زخرفياً مقصوداً لذاته[٥]؛ إلا أن لها أهمية كبرى تتمثل في اشتمالها على عدد من النصائح على هيئة حكم وأقوال مأثورة مثل "اقنع

---

(١) عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، حسن الباشا وآخرون، القاهرة، الأهرام ١٩٧٠م، ص ٣٢٣.

(٢) أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية في دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٨٨م، ص ١٢.

(٣) قُصد من هذه الشبابيك تنظيم تدفق المياه خارج القلة اثناء عملية الشرب، ومنع تسرب الحشرات والهوام الى داخل المياه بالقلة. زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٣٢٨.؛ أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية، ص١٢، ١٣.؛ الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠١م، ص١٥٦.؛

http://antiquities.bibalex.org/Collection/Detail.aspx?a=954&lang=ar;
http://www.eternalegypt.org/EternalEgyptWebsiteWeb/HomeServlet?ee_website_action_key=action.display.element&story_id=&module_id=&language_id=3&element_id=1362&ee_messages=0001.flashrequired.text

(٤) عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، ص ٣٢٧، ٣٢٨.؛ أحمد عبد الرازق أحمد، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ص١٥٦، ١٥٧.

(٥) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٣٢٩.

تعز" (لوحة٢)، "فاز من اتقا" (لوحة٣)، "من صبر قدر" (لوحة٤)، "عف تعاف"[١] (لوحة ٥)، "فيق يا نائم"، "من خف طف"[٢]، ومثل هذه العبارات تكشف لنا عن بعض جوانب الفكر الإنساني إبّان العصرين الأيوبي والمملوكي حيث شاعت الكتابات النسخية.

على أن هذه الزخارف الكتابية لم تقتصر على شبابيك القلل دائماً؛ بل تعدت ذلك في أحيان قليلة إلى أبدانها، اذ يحتفظ متحف أطنة بتركيا بقلة نُقش عليها نصيحة بالخط الكوفي البسيط يمكن نسبتها إلى القرن ٢هـ/ ٨م نصها: "إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك بين الناس يعلمه الغير"[٣].

وصنع الخزافون في مصر إبّان العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م) أختاماً فخارية مستديرة الشكل كانت مخصصة لطبع وحدات زخرفية على الكعك في المواسم والأعياد، وقد وصلنا بعض هذه الأختام المزينة بزخارف بارزة أو غائرة، تتألف من كتابات عربية نقشت معكوسة بالخط الكوفي، تتضمن نصائح تتعلق بالطعام مثل "كل وأشكر"، و "كل واشكر مولاك"، و "بالشكر تدوم النعم"[٤].

وامتدت النصائح أيضاً إلى وسائل الإضاءة كالمسارج الفخارية؛ إذ يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمسرجة تنسب إلى القرنين ٢،٣هـ/ ٨،٩م منقوش عليها عبارة[٥]: "اصبر إن ملني خليلي، والصبر عند البلاء[٦]".
البلاء[٦]".

الخزف السامانى *Samanid Epigraphic Pottery*

شهدت أيضاً فترة حكم الدولة السامانية (٢٠٤-٣٩٥هـ/ ٨١٩-١٠٠٥م) في شرق إيران ووسط آسيا ظهور نوعٍ جديدٍ من الخزف الإسلامي[٧]، يتميز بأن العنصر الرئيسي لزخرفته يعتمد على حروف وكتابات عربية باللون

---

(1) Tim Stanley, Palace and Mosque, The Jameel Gallery of Islamic Art at The Victoria and Albert Museum, London, 2006, pl. 19.

(2) M.Pierre Olmer, Les Filtres de Gargoulettes, Catalogue General du Musee Arabe du Caire, Le Caire, 1932, pp.98-103, pls. LXXIVA,C, D, E, LXXV C, LXXVII B.

زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٣٢٩. عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، ص ٣٢٩.؛ أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية، ص ٣٢، لوحات ٤٧-٥١.

(٣) عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، ص ٣٢٦.؛ جمال الدين خير الله، الدلالات الأثرية لمنظومات الشعر على الآثار الإسلامية بالقاهرة العثمانية، مجلة كلية الآثار، العدد الثامن، ١٩٩٧م، ص٥٨٦.

(٤) عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، ص ٣٢٩.؛ آمال أحمد العمرى، الأختام الفخارية فى ضوء مجموعة مخازن الفسطاط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٦٤، ٦٥.؛ أحمد عبد الرازق أحمد، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ص١٥٨.

(٥) عبد الرؤوف علي يوسف، الفخار، ص٣٢٣.

(٦) قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ ". رواه الترمذي وابن ماجه. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، حديث رقم١٤٦، ص٢٧٦. هناك من الأسباب ما يدفع الباحث الى نسبة هذه المسرجة إلى فترة متأخرة بقرن أو أكثر عن التاريخ الذى ذكره عبد الرؤف علي يوسف.

(٧) لمزيد من التفاصيل عن هذا النوع من الخزف راجع:

الأسود تدور حول مركز واحد[١] على الحواف الداخلية للأواني والأطباق، ومعظم المعروف منها ينسب إلى نيسابور وسمرقند[٢] وبخارى[٣]، وهذه الكتابات لا تشتمل عادة على آيات قرآنية، بل يتنوع مضمونها من أحاديث نبوية شريفة إلى الحكم والأمثال الشعبية والعبارات التهذيبية[٤] ذات طابع النصح.

وعثر المنقِّبون عن الآثار على كميات وفيرة من هذا النوع من الخزف موزعة الآن بين العديد من المتاحف العالمية، من بينها إناء محفوظ في متحف المتربوليتان بنيويورك ينسب إلى القرن ٣هـ/ ٩م نقرأ عليه "التدبير قبل العمل يؤمنك من الندامة اليمن والسلامة"[٥] (لوحة٦). وقد وردت النصيحة السابقة كذلك على طبق آخر ضمن مقتنيات متحف المدينة للفن *City Art Museum* بسانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية، وأُضيفت عبارة "الصبر مفتاح الفرج" إلى العبارة السابقة على طبقٍ ثالث محفوظٍ في متحف بروكلين بنيويورك، فجاءت كتاباته على النحو التالي: "التدبير قبل العمل يؤمنك من الندامة، الصبر مفتاح الفرج[٦]".

ويقتني متحف بروكلين طبقاً رابع جاءت عليه عبارة "إن السلامة ما صمت وإنما يبدي بطانة ذي العيوب كلامه"[٧]، كما يحتفظ متحف اللوفر بباريس بصحن خامس من هذا النوع ينسب إلى الفترة نفسها، يزين حافته عبارة بالخط الكوفي نصها "العلم أوله مر مذاقه لكن آخره أحلى من العسل السلامة"[٨] (لوحة٧).

Lisa Volov, Plaited Kufic on Samanid Epigraphic Pottery, Ars Orientalis, Freer Gallery of Art, The Smithsonian Institution and Department of the History of Art, University of Michigan, Vol. 6, 1966, pp.107-133.

(١) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١٧٩.

(2) Arthur Lane, Early Islamic Pottery: Mesopotamia, Egypt and Persia, Faber and Faber, London, 1947, pp. 17-19.

(٣) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص ٢٣٩، ٢٤١.

(٤) روجرز (جيه ام)، فنون الإسلام، كنوز من مجموعة ناصر الخليلي، أبو ظبى ٢٠٠٨م، ص ٥٢.

(٥) أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ١٤٤، لوحة ٩٣.

Marilyn Jenkins, Islamic Pottery: A Brief History, The Metropolitan Museum of Art Bulletin, New Series, Vol. 40, No. 4, Spring, 1983., p. 9, pl. 9.

(٦) ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، صيد الخاطر، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ص ١٦٠.

(7) Lisa Volov, Plaited Kufic on Samanid Epigraphic Pottery, p. 133.

ومثلها قول الشاعر صالح بن عبد القدوس:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، كتاب أدب الدنيا والدين، المطبعة الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، ١٣٣٨هـ /١٩٢٠م، ص ٢٥٠.

(٨) زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ص٢٣٩، ٢٤٢، شكل١٦٦.؛ الفنون الإيرانية، ص ٣١٥، شكل ٧٦.؛ أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ١٤٤.

Markus Hattstein and Peter Delius, Islam: Art and Architecture, Cambridge, UK, 2007, p. 121.

ويُعرف ضمن كنوز مجموعة ناصر خليلي أطباق عدة وردت عليها النصائح التالية "الجود من أخلاق أهل الجنة" (لوحة٨)، "الحمد يبقا للفتي والمال لا يبقا لأصحابه"[١] (لوحة٩)، وينسب إلى إيران في الفترة التاريخية نفسها سلطانية عليها عبارة "المال ما تنفق لا ما تجمعه"[٢].

ويحتفظ متحف اتكنس للفنون الجميلة *Atkins Museum of Fine Arts* بمدينة كنساس بولاية ميسوري الأمريكية بطبق عليه عبارة "العلم زين للفتي والعقل تاج من ذهب"، والعبارة الأخيرة وردت على مثال آخر بصيغة "العلم تاج للفتي والعقل طوق من ذهب والصدق نور واضح والكذب نار تلتهب"، ويحتفظ معرض الفرير بواشنطن ايضاً بطبق تزخرفه عبارة "حياؤك فاحفظه عليك فإنما يدل على فعل الكريم (حياؤه)"، ويوجد كذلك ضمن مجموعة فروجى *Froughi* بطهران طبق جاءت عليه عبارة " العلم أشرف الإحسان والمروءة اشبك الأنساب"، كما يحتفظ متحف المتروبوليتان بصحن جاءت عليه عبارة " الإخلاص يخص الأعمال"[٣].

وشهد القرن ١٠هـ/ ١٦م صناعة العديد من التحف الخزفية فى مدينة أزنيك التركية، حمل القليل منها بعض النصائح الكتابية، من بينها عبارة "عجلوا بالصلاة قبل الفوت والتوبة قبل الموت" التى وردت على مشكاة خزفية محفوظة فى متحف والتر للفن *The Walters Art Museum*[٤](لوحة١٠).

النسيج

وصلنا من مصر خلال العصر المملوكى(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) بعض قطع النسيج الكتانية المزينة بزخارف مطبوعة محفوظة حالياً ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة؛ من بينها واحدة تنسب إلى أواخر القرن ٩هـ/١٥م يزينها زخارف مطبوعة باللون الأزرق، قوامها شريط عريض في أعلى القطعة يضم كتابات نسخية مكررة نصها النصيحة التالية[٥]: "الصبر نعم الناصر، لكل شئ آخر"[٦] (لوحة١١).

---

(١) روجرز(جيه ام)، فنون الإسلام كنوز من مجموعة ناصر الخليلي، ص ٥٢، ٥٣، لوحات ٣٨، ٤٠، ٤٢.

(٢) اسين اتيل، وحدة الفن الإسلامي، معرض عن الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤١، لوحة ١١٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل والأمثلة راجع: *Lisa Volov, Plaited Kufic on Samanid Epigraphic Pottery, p.133.*

(4) http://art.thewalters.org/detail/27801/iznik-fritware-mosque-sphere/

(٥) أحمد عبد الرازق احمد، الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ص ٢٣٥، لوحة ١٨٤.

(٦) عن أبي العباس عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: "يا غلام، إني أعلمك أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف". رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذى "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لك يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً". الخطيب التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم٥٣٠٢، ص١٤٥٩.؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٦٨٠٦، ص ١١٥١.؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٥، حديث رقم٢٣٨٢، ص٤٩٦، ٤٩٧.

التحف المعدنية

استخدمت الكتابات كعنصر رئيسي لزخرفة التحف المعدنية الإسلامية، وتضمنت أحياناً بعض النصائح، منها على سبيل المثال بعض مطارق الأبواب السلجوقية مثل حلقة مطرقة محفوظة في دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني؛ هذه الحلقة مصنوعة من النحاس الأصفر المصبوب على هيئة دائرة سباعية الفصوص يفصل بين كل فصين نتوء زخرفي لوزي الشكل، وتزين الفصوص نصيحةٌ كتابيةٌ بخط النسخ نصُّها: "عجلوا بالصلوة (كذا) قبل الفوة (كذا) وعجلوا بالتوبة قبل الموة (كذا) صدق"[١] (لوحة١٢). ويحتفظ المتحف البريطاني بلندن بطست من النحاس المكفت بالذهب والفضة، صنع للسلطان الناصر محمد بن قلاوون حوالى عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م يزخرف أسفل حافته عبارة "الصبر عبادة"[٢].

ثالثاً: النقود الإسلامية

تميزت النقود الإسلامية خلال بعض الفترات التاريخية بظهور بعض العبارات التي تهدف إلى إسداء بعض النصائح، مثل: "نفقة في سبيل الله"، و "لزكاة الله" اللتين وردتا على بعض الفلوس النحاسية التي تنسب إلى العصر الأموي ولا تحمل تاريخاً أو مكاناً لسكِّها. وأمر عبد الله بن الزبير أثناء خروجه على الدولة الأموية خلال الفترة من (٦٤-٧٣هـ/ ٦٨٣-٦٩٢م) بضرب دراهم عند دخوله مكة، نقش عليها عبارة "أمر الله بالوفاء والعدل"[٣]، وهي العبارة التي استحسنها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز فسجلها على بعض نقوده التي وصلتنا ومنها فلس ضُرب في الكوفة سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، ولدينا كذلك بعض العملات العباسية التى نُقش عليها بعض عبارات النُصح، فوصلنا من عهد الخليفة المهدي فلوس ضربت في مصر على يد واليها مطر مولى المنصور عام ١٥٩هـ/ ٧٧٤-٧٧٥م تحمل عبارة "ابذله لله".

ووردت عبارة "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة" على نقود نحاسية باسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٧٩-١٢٢٥م)[٤]. وفي العصر المملوكي الجركسي حملت فلوس ضُربت في حماة باسم السلطان المملوكى الظاهر برقوق خلال فترة حكمه الثانية (٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م) عبارة "كفى بالموت واعظاً"[٥]. واعظاً"[٥].

---

(١) يبلغ قطر هذه المطرقة ١٣ سم، وتنسب إلي السلاجقة في العراق أو إيران أو شرق الأناضول خلال الفترة من القرن ٨-٩هـ/ ١٤-١٥م. جيمس دبليو الان، التحف المعدنية، كنوز الفن الإسلامي، ترجمة: حصة صباح السالم واخرين، جنيف، ١٩٨٥م، ص ٢٧٥. وتصحيح كتابات هذه المطرقة "عجلوا/ بالصلاة/ قبل الفوت/عمل رافع الدين/ وعجلوا/ بالتوبة/قبل الموت صدق". ومن المرجح نسبتها الي القرن (٧-٨هـ/ ١٣-١٤م). حسام عويس عبد الفتاح، مطارق الأبواب في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠٥م، ص ١٤٤، ١٤٥، لوحة ٤.

(٢) اسين اتيل، نهضة الفن الإسلامي في العصر المملوكي، واشنطن ١٩٨١م، لوحة ٢٦، ص ٨٩.

(٣) عبد المتعال محمد الجبري، أصالة الدواوين والنقود العربية، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٧١.

(٤) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ص٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٣٨٨، ٣٨٩.

(٥) شفيق مهدي، مماليك مصر والشام نقودهم - نقوشهم - مسكوكاتهم - القابهم - سلاطينهم (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، الدار الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ١٦٩. هي اقتباس من حديث نبوي شريف فقد روي ان رسول الله ﷺ جَاءَه رجل فقال: إن فلانا جاري يؤذيني فقال: اصبر على أذاه، وكف عنه أذاك، قال: فما لبث إلا يسيرا إذ جاء فقال: يا رسول اللَّه إن جاري ذاك مات، فقال النبي ﷺ: "كَفِي بِالذِّكْرِ وَاعِظًا، وَكَفِي بِالْمَوْتِ مُفَرِّقًا". وفي رواية أخرى "كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنى،

كما حملت دراهم بني قرمان[١] التي ضربت في قونيه عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م باسم السلطان تاج الدين إبراهيم بن محمد (٨٢٧-٨٦٨هـ/ ١٤٢٤-١٤٦٤م) عبارة "ظل السلطان كظل الله[٢]، ثبات الملك بالعدل"، كما سجل هذا السلطان على دراهمه التي ضُربت في قونيه عام ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م عبارة "بركة الملك في إدامة العدل"، كما وردت عبارة "طول العمر مع الطاعة من خلع الأنبياء" على درهم اخر من ضرب قونيه عام ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م، ونُقشت عبارة "ضمن الله رزق كل أحد" على درهم ثالث من ضرب قونيه في سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م، وجاءت عبارة "بركة العمر حسن العمل" على درهم رابع مؤرخ بسنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م [٣].

وقام الإمبراطور جلال الدين أكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/ ١٥٥٦-١٦٠٥م) بدوره بسك نقود سُجل عليها عبارة[٤] "أفضل دينار ينفق الرجل، دينار ينفق على أصحاب في سبيل الله"[٥]، ووردت أيضاً عبارة "عز من قنع وذل من طمع"[٦] على فلوس من عصر الشاهات[٧] في إيران ضُربت بمدينة رشت سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م[٨].

وكفى بالعبادة شغلا ". المنذري، الترغيب والترهيب، ص١٢١٠.؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة،ج ٢، حديث رقم ٥٢، ص ١.

(١) تعد دولة القرامانيين (٦٥٤-٨٨٨هـ/ ١٢٥٦-١٤٨٣م) أكبر الدول التي ورثت السلاجقة وأقواها لم يفقها في ذلك إلا دولة العثمانيين. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م،ج ٢، ص ص٤١٥-٤٢٢.

(٢) اقتباس من حديث ضعيف موضوع منسوب الى رسولنا الكريم ﷺ نصه: "السلطان ظل الله في الأرض، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر، وان أساؤا فعليكم الصبر وعليهم الأصر، لا يحملنكم اساءته على أن تخرجوا من طاعته، فان الذل في طاعة الله، خير من خلود في النار، لولاهم ما صلح الناس".؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ج ٤، حديث رقم ١٦٦٤، ص ص ١٦٢. وفي رواية اخرى: "السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإن جار أو حاف أوظلم كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر ...". المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٨٤٩.

(٣) رأفت محمد النبراوى، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٥. ؛ عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٤- ٢٨٦.؛ النقود الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، نشرة علمية، مؤتمر النقود في العالم، مكتبة الاسكندرية، مارس ٢٠٠٩م، ص٢٩.

(٤) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) اقتباس من حديث نبوي شريف نصه: "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله". رواه مسلم. الخطيب التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، حديث رقم ١٩٣٢، ص ٦٠٢.؛ الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، حديث رقم ١١٠٣، ص ٢٤٨.؛ صحيح الترغيب والترهيب، ج ٢، حديث رقم ١٩٥٢، ص ٤٢١.

(٦) رأفت محمد النبراوى، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس، ص ٢٥.؛ عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ص ٢٩.

(٧) تتكون سلسلة شاهات إيران من خمس أسر تنتمي الى عناصر مختلفة: الأسرة الصفوية والأسرة الأفغانية وأسرة افشار وأسرة الزنديين وأسرة قاجار، وتمتد فترة حكم الشاهات في الفترة ما بين عامي ٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م و ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، ويقع تاريخ ضرب الفلوس المذكورة خلال فترة حكم فتح علي شاه القاجاري (١٢١١-١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧-١٨٣٤م). أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية، ج ٢، ص ٥٤٤، ٥٤٨.

(٨) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

كما سُجلت على بعض النقود الإسلامية بعض الاقتباسات القرآنية لتكون بمثابة نصيحة تحذر الناس من البخل والاكتناز[١]، ومن أجلّ الأمثلة على ذلك بعض إصدارات الدولة السامانية في إيران (٢٠٤-٣٩٥هـ/ ٨١٩-١٠٠٥م)، التى نجد من بينها دنانير ضُربت باسم الحسين بن طاهر عامل السامانيين في سجستان عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م حملت الاقتباس القرآني من سورة الحشر الآية ٩ ونصه:

﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾، ومثلها دراهم ضُربت عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م باسم الأمير نوح الثاني بن منصور (٣٦٦-٣٨٧هـ/ ٩٧٧-٩٩٧م)، وجاءت كتاباتها تحمل الاقتباس القرآني من الآية ٣٤ سورة التوبة ونصه: ﴿والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كما ورد الاقتباس القرآني من الآية ٣٨ سورة محمد ونصه: ﴿واللَّهُ الغَنِيُّ وأَنتُمُ الفُقَرَاءُ﴾ على النقود الذهبية والفضية لحاكم بني تغلق محمد بن تغلق شاه المضروبة في الهند خلال الفترة ما بين سنتي ٧٣٢-٧٣٩هـ/ ١٣٣١-١٣٣٨م، كما ظهر الاقتباس القرآني من الآية ٣٤ سورة التوبة ونصه: ﴿والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ على نقود دولة أشراف فيلالي بالمغرب (١٠٧٥-١٣٤٣هـ/ ١٦٦٤-١٩٢٤م)، ومن أمثلتها درهم يرجع إلى عهد الإمام محمد الأول (١١٧١-١٢٠٤هـ/ ١٧٥٧-١٧٨٩م) ضُرب بتطوان في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م[٢].

وبتحليل النصائح السابقة يتبين أن جميعها ذات طابع ديني واضح، ويمكن تصنيفها إلى قسمين: الأول نصائح متعلقة بالعبادات[٣] تهدف إلى إصلاح العلاقة بين العبد وربه، والثاني متعلق بمكارم الأخلاق الغرض منه بناء مجتمع إسلامي فاضل.

ويأتي في مقدمة القسم الأول من النصائح المتعلقة بالعبادات تلك التي ترتبط بالعبادات المالية، حيث استخدمت النقود بصفة خاصة لحث الناس على أداء الزكاة ومنح الصدقات والإنفاق في سبيل الله؛ وذلك من خلال ما سُجل عليها من عبارات مثل: "نفقة في سبيل الله"، "لزكاة الله"، "ابذله لله"، "المؤمنين يوم القيامة في ظل صدقتهم"، "المال ما تنفق لا ما تجمعه"، "المال لا يبقى لأربابه"، "أفضل دينار ينفق الرجل، دينار ينفق على أصحاب في سبيل الله".

وبذلك لا يقتصر الدور الذي قامت به النقود في كونها الوسيلة التي يتم من خلالها أداء الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله فحسب، بل استخدمها بعض حكام المسلمين -بما توفر لهم من سلطة على دور الضرب- كوسيلة إعلامية لحثّ الناس على التكافل الاجتماعي، عبر ما نُقش عليها من نصائح تُذكّر عامة المسلمين وخاصتهم بالبذل والإنفاق، كما استعانوا في ترويج أفكارهم ببعض الآيات القرآنية التي تحذر من البخل والاكتناز، وقصدوا من وراء ذلك ابتغاء وجه الله تعالى؛ إلا أن الملاحظ أنَّ فئة قليلة من هؤلاء الحكام قصدوا تحقيق أغراض خاصة بهم، ومنهم السلطان محمد بن تغلق شاه الذي سجل الاقتباس القرآني من الآية ٣٨ سورة محمد ونصه:

---

(١) عاطف منصور محمد رمضان ، النقود الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ص٢٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) نَوَّع الإسلام في عباداته التي شرعها فمنها: العبادة التي يؤديها المسلم بجهده البدني كالصلاة والصيام، وتُسمى العبادة البدنية، ومنها ما يؤديه بذلاً من ماله لله كالزكاة والصدقات، وتُسمى العبادة المالية، ومنها: ما يجمع بينهما، كالحج والعمرة،كما أن منها ما يتمثل في الفعل، كالصلاة والزكاة والحج، ومنها ما يتمثل في الترك والكف، وهو الصيام، ومنها ما يتعلق بالقول كالدعاء...الخ.
http://www.qaradawi.net/library/73/3763.html

﴿واللَّهُ الغَنِيُّ وأَنتُمُ الفُقَرَاءُ﴾ على النقود الذهبية والفضية المضروبة في الهند خلال الفترة من سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م إلى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، بسبب سوء الأحوال الاقتصادية في دولته، وتوقف المشاريع التي كان يقوم بها، وانتشار الخراب في البلاد، لذلك سجل هذا الاقتباس مخاطباً رعايا الدولة من الأغنياء، لينفقوا من أموالهم في سبيل الله ويساعدوا الدولة في الخروج من أزمتها، ويبدو أن هذا النداء لم يلق القبول لدى هؤلاء الأغنياء، مما دفع السلطان إلى مصادرة أموالهم(١).

وبذلك تكون العبادات المالية (الإنفاق في سبيل الله) هي الأول ظهوراً والأكثر استمراراً على السكة الإسلامية، حيث ظهرت خلال العصر الأموى (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) واستمرت حتى القرن ١٢هـ/ ١٨م، وقد يرجع سبب أسبقية ظهورها إلى أن الدولة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية كانت لا تزال في دور البناء والتكوين، مما يستدعي تحقيق التكافل الاجتماعي لاستيعاب كثرة الداخلين في الدين الإسلامي الجديد، في حين أن استمرارها إلى فترة متأخرة قد يرجع إلى كثرة الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الدويلات الإسلامية؛ الأمر الذي استوجب حثَّ الناس على الإنفاق في سبيل الله للقضاء عليها أو على الأقل للتخفيف منها. كما يلاحظ أن النصائح السابقة لم تكثر من الحضِّ على الزكاة؛ بل مرت عليها مرور الكرام، على اعتبار أنَّ أداءها فرضٌ على كل مسلم مَلَك نِصاباً دار عليه الحول، واتجهت إلى الحثِّ على الإكثار من الصدقة والإنفاق في سبيل الله لتحقيق التكافل الاجتماعي.

إضافة إلى ما سبق ظهرت بعض النصائح المتعلقة بالعبادات البدنية كالصلاة(٢)، فمن المعروف أنَّ للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أى عبادة أخرى(٣)، لذا فقد وردت بعض النصائح التي تحثُّ المسلمين على أداء الصلاة ضمن العديد من النقوش الكتابية الإسلامية، منها واحدة نصُّها: "عجلوا بالصلاة قبل الفوت"، ويلفت النظر فيها اقتصارها على المدافن والمنشآت الدينية الملحق بها مدافن سواء كتبت على الجدران أو على الأبواب وما يُعلق عليها من مطارق، مما يرجح أنَّ اختيار موقع كتابة النصيحة كان مقصوداً لتُذكّر زوار المدافن والمساجد بأن يسارعوا إلى أداء الصلاة قبل فوات أوانها، خاصة أنَّ الصلاة هي أول ما سيُحاسب عليه المرء بعد وفاته، فقد روي

---

(١) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٤.

(٢) تتضمن الصلاة أقوالاً وأفعالاً مخصوصة، مفتتحة بتكبير الله تعالى، مختتمة بالتسليم. السيد سابق، فقه السنة، ج ١، الفتح للإعلام العربي، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٦٤.

(٣) تعد الصلاة عند المسلمين عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعملٍ يدخلني الجنه ويباعدني عن النار، قال: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حتى بلغ (يَعْمَلُونَ) [السجدة:١٦،١٧] ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه"؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد" ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله"؟ فقلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه وقال :"كف عليك هذا"، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: "ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم- أو قال: (على مناخرهم)- إلا حصائد ألسنتهم؟". رواه الترمذى. الألباني (محمد ناصر الدين)، صحيح سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، حديث رقم٢٦١٦، ص ٤٢، ٤٣؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣، حديث رقم ١١٢٢، ص ١١٤، ١١٥. وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وهي آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته عند مفارقته الدنيا. السيد سابق، فقه السنة، ج ١، ص ٦٤.

عن رسول الله ﷺ قوله: "أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله"(١).

ولما كانت إقامة الصلاة لا تتم إلا في المساجد، ومن ثم كان إنفاق المال للمساهمة في بناء المساجد من أعظم العبادات المالية وأفضل القربات(٢)، ولذلك استُخدمت بعض الاقتباسات من الأحاديث النبويّة الشريفة ضمن النقوش الكتابية على المنشآت الدينية الإسلامية كنصائح مثل: "من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً مثله في الجنة" وغيرها من العبارات مثل "أحب البلاد إلى الله مساجدها" التي تدعو المسلمين إلى بناء المساجد والاشتراك في عمارتها والإنفاق عليها، وتبين لهم الفضل الكبير لهذا العمل، وفيها دعوة للمسلمين بإكثار الخطى إلى المساجد وإطالة المكوث فيها، لدورها في إتمام الاتصال بين العبد وربه عبر الصلاة.

ولما كان العلم(٣) من أجلِّ الفضائل شأناً وأعلاها مرتبة وأسناها منزلة(٤)، لكونه أهم العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه(٥)، فلا عجب إذن إن كان له نصيبٌ كبيرٌ من النصائح، التي تنوعت أماكن تسجيلها سواء على العمائر الدينية المختلفة أو على التحف الفنية، وتباينت طرق صياغتها وتراوحت ما بين اقتباسات من بعض

---

(١) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣، حديث رقم ١٣٥٨، ص ٣٤٣. وفي رواية اخرى: "أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، حديث رقم ١٧٤٨، ص ٣٢٨.

(٢) يأتى ذلك مصداقا لقوله تعالى فى سورة التوبة، الآية ١٨: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، كما قال أيضا في محكم التنزيل فى سورة النور، الآية ٣٦: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾، وجعل نبينا الكريم ﷺ بناء المساجد من الصدقة الجارية التي يلحق ثوابها بالمرء بعد وفاته، فقَالَ: " إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ" رواه ابن ماجه وحسنه الألباني. المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٩٧.؛ الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٢٥٤، ص ٨٤، ٨٥.؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٢٢٣١، ص ٤٤٣، رقم ٣٩٨٠، ص ٧٣٧.

(٣) عن فضل العلم راجع: الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ص ٥١-٦٨. ابن عبد البر(الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق ابي الأشبال الزهيري، ج ١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. المنذري، الترغيب والترهيب، ص ص ٩١-١٠٣. النووي (الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم، مراجعة وتقديم أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.؛ رياض الصالحين، ص ص ٤٧٣-٤٧٧. ابن حبان (الإمام الحافظ أبو حاتم محمد البستي ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد محيي الدين، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ص ٣٤-٤٣. الراغب الأصفهاني (ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ت: ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، الذريعة الى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المنصورة ١٩٨٧م، ص ص ٢٤٠-٢٤٦.

(٤) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٣م، ص ١١٩.

(٥) ففي "تعلّمه خشية، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله قربة. ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١، رقم ٢٦٨، ٢٦٩، ص ص٢٣٨-٢٤٠. لذا قُدِّم على العبادة، فإنَّ فضلاً في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادة، فيروى أن رسول الله ﷺ قال: "فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع". رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد حسن. وفي رواية أخرى: "أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع". المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٩١.

الأحاديث النبوية الشريفة مثل "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، وبعضها كتبت شعراً مثل "من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل"، التي تحث طالب العلم علي الاجتهاد المتواصل الذي لا ينثني فينقطع صاحبه، ولا يلين فيضعف صاحبه، وتبين له أن كل ما يبذله من جهد ومال ووقت يهون أمام شرف ما يطلبه، فلا مقابل بدون بذل. ومعظم هذه النصائح وردت في شكل حكمٍ وأمثالٍ مثل: "العلم أوله مرٌّ مذاقه لكن آخره أحلى من العسل"، التي تبين لطالب العلم أنه في البداية سيتجرع بعض المرارة ولكنها في النهاية ستتحول إلى أكثر شيء حلاوة؛ وهو العسل، فلا ينصرف عن طلبه فإنَّ من ذاق حلاوة العلم لا يعدل به شيئاً، ومنها أيضاً "العلم زين للفتى والعقل تاج من ذهب"، ومثلها "العلم تاج للفتى والعقل طوق من ذهب"، وكلاهما تشير إلى أثر العلم في المتعلم، أما عبارة "العلم أشرف الإحسان" ففيها إقرارٌ بأن العلمَ أشرف ما تُحسن وتتصدق به على غيرك من غير المتعلمين، وفيه حلاوة الأفضال على الخلق[١].

وتعد التوبة[٢] أيضاً من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه، ولأهمية التوبة في الإسلام وردت نصيحة ضمن الكتابات الإسلامية في العديد من الأقاليم الإسلامية، وسجلت في أماكن مختلفة سواء على جدران المنشآت المعمارية أو على أسطح التحف الفنية والنقود نصها "عجلوا بالتوبة قبل الموت"، لتحث المسلمين على سرعة التوبة إلى الله قبل أن يأتيهم ملك الموت، وقبل أن تفارق الروح القلب، فلا يبقى للمرء نية ولا قصد صحيح[٣].

ومن أهم العبادات الطاعة، ومعناها الانقياد والاستسلام والخضوع فهي ضد المعصية، فالإسلام هو طاعة الله ورسوله، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والإذعان، وهو ثمرة الإيمان وبرهان صدقه، فلا إيمان بدون طاعة وانقياد لله ورسوله قال تعالى: ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ

---

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص٢٦٥.

(٢) البيهقي، الآداب، ص ص٥١٤-٥٢٠. التوبة فى اللغة هى الرجوع إلى الله تعالى، وفي العرف الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب، والعزم على تركها دائماً لله عز وجل لا لأجل نفع الدنيا أو أذى الناس، وقد أجمعت دلائل الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة على وجوب التوبة وبيّنت فضلها. السفاريني، غذاء الألباب، ج٢، ص ص٤٤٦-٤٧٢؛ النووي، رياض الصالحين، ص ١١-٢٣. فيقول الله عز وجل في كتابه الكريم فى سورة هود، الآية ٣: ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ويُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويقول أيضاً فى نفس السورة، الآية ٥٢:﴿ ويَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْراراً ويَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ولا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ وكذلك قوله فى سورة التحريم، الآية ٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾، وكان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة وفي رواية أخرى مائة مرة،عنه ﷺ انه قال: "يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى الله عز و جل في اليوم مائة مرة". التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم٢٣٢٥، ص٧١٩.؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم٧٨٨١، ص ١٣٠٤.؛ البيهقي، الآداب، حديث رقم ١١٦٥، ص٥١٥. وعنه أنه ﷺ قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"، التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم٢٣٤٣، ص٧٢٤. وفي رواية أخرى: "من تاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه". الألباني، صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٦١٣٢، ص ١٠٥٦. أي ما لم يكن في النزع الأخير .النووي، رياض الصالحين، ص ١٣.

(٣) السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ٤٦٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية١. http://islamselect.net/mat/12735

والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك"[٢].

وقد ظهرت ضمن الكتابات الإسلامية نصائح عدة تتعلق بالطاعة منها: "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة"، وكذلك عبارة "لا عز إلا بطاعة الله" ومثلها "طول العمر مع الطاعة من خلع الأنبياء"، وهذه النصائح فيها حثٌّ على الطاعة، وتبين أن الطاعة من صفات أنبياء الله جميعاً، وتبشر من أطاع الله ورسوله بالعزة في الدنيا والآخرة، فقد جعل الله سبحانه وتعالى العزة لأهل طاعته والذلة لمن خالف أمره.

وأعظم مقاصد العبادة حصول التقوى التي هي الحاجز والوقاية والستر والصون للمسلم من الوقوع في عذاب الله باتخاذ سترة من الحلال عن طريق التزام أداء ما فرضه الله واجتناب ما نهى عنه[٣]، وقد ظهرت نصيحة على أحد شبابيك القلل الفخارية المصرية نصها "فاز من اتقا" لتحث الناس على تقوى الله وتبشرهم بأن جزاء التقوى فوز عظيم في الدنيا والآخرة.

وتتميز نصائح القسم الثاني التي تتناول مكارم الأخلاق بكثرتها، وبعضها يتعلق بالخاصة كالحاكم، ومعظمها يتعلق بعامة الناس من المسلمين، ويأتي في مقدمة النصائح الخاصة بالحاكم تلك التي تتناول العدل[٤]، فقد ظهرت النصائح [٥] التي تحثُّ حكام المسلمين علي إدامة العدل وتبيّن لهم فضله في تثبيت أركان الدولة على بعض النقود

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٢.

(٢) الألباني، صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٤٠٣٩، ص ٧٤٦.

(٣) الآيات القرآنية في التقوى كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران، الآية ١٠٢، وكذلك قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ﴾ الشعراء، الآية ١٠٨، وبين سبحانه وتعالى جزاء التقوى وثمراتها http://satarabia.com/ar/t83175.html فقال جل وعلا: ﴿ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق، الآية ٢، ٣، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ويُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ الزمر، الاية ٢٠، كما وعد سبحانه وتعالى المتقين قائلاً: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ النبأ، الاية ٣١، و بأن: ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنهَارُ وعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ المِيعَادَ﴾ الانفال، الاية ٢٩، وغير ذلك كثير، النووي، رياض الصالحين، ص٤٣ ، ٤٤.

(٤) المعروف أن العدل بمعناه العام من أوجب الواجبات على المسلم وألزمها، إذ أمر الله تعالى به فى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ النحل، الآية ٩٠، وأمر الله به تعالى وأخبر أنه يحب أهله في قوله: ﴿وأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ الحجرات، الآية ٩، وأمر به الله تعالى في الأقوال فقال: ﴿وإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ولَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الأنعام، الآية ١٥٢،كما أمر به تعالى في الأحكام فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ﴾ النساء، الآية ٥٨. ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، مطبعة الحلبي، القاهر ١٩٦٤م، ص١٥٥. وخصَّ رسول الله ﷺ المقسطين من الولاة والحكام وأولي الأمر بمنابر من نور فقال: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" رواه مسلم والنسائي، المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٨٤٧. وجعل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الإمام العادل واحداً من سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رواه البخاري ومسلم، المنذري، الترغيب والترهيب، ص٨٤٧. وروي عنه ﷺ أنه قال: "أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربي ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال". رواه مسلم. المنذري، الترغيب والترهيب، ص ٨٤٧. راجع: النووي، رياض الصالحين، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٥) شهد العصر الإسلامي مجموعة من المؤلفات الخاصة بإسداء النصيحة للحكام منها علي سبيل المثال: الماوردى (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٣م.؛ الغزالى

الإسلامية، ومن أمثلتها "ظل السلطان كظل الله، ثبات الملك بالعدل"، و"بركة الملك في إدامة العدل"، وهي تشير إلى أن الحاكم هو القائم على حقوق الله بين عباده، وينفذ شرعه فيهم ويحكم بينهم بحكم الله، فهو ظل الله في تطبيق أحكامه وإقامة شرعه، ومن ثمَّ كان منوطاً به أن يعدل بين الرعية، ويُقسّم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده، ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى[١]، لأنَّ العدلَ أساسُ الملك [٢]، وبقاء الملك واستمراره يقوم بصورة رئيسية على استمرار العدل وجعله منهاجاً للحكم، والدول التي تعرف معنى العدالة، وتقيم أسس حكمها على مفهومها هي التي يقدر لها الاستمرار والبقاء، ومتى تخلى الحاكم عن العدل فإن نهاية حكمه هي المصير المحتوم[٣].

والملاحظ اقتصار تسجيل هذه النصائح على نقود دولة بني قرمان، خاصة على دراهم السلطان تاج الدين إبراهيم بن محمد (٨٢٧-٨٦٨هـ/ ١٤٢٤-١٤٦٤م)، ويرجع السبب في ذلك إلى الظلم والجور والفساد الذي عاشته الدولة القرمانية إبان حكم السلطان محمد الثاني- والد السلطان إبراهيم-، فقد عُرف عن هذا السلطان الظلم والتعسف والشراهة في جمع الأموال من الرعية بدون وجه حق، فكان يخصص نفراً من رجاله لجمع الجبايات، ويأخذها من الناس في كل جمعة من كل شهر، حتى كرهته الرعية، ومالوا إلى أخيه "علي بك" حين اعتلى حكم البلاد بمساعدة السلطان المملوكي المؤيد شيخ، فسار الأمير علي بين الرعية بالحسنى، فألغى الجبايات، ورفع عن كاهل الناس تلك الأعباء [٤]، وعندما اعتلى السلطان إبراهيم عرش بني قرمان سجل هذه العبارات التي تشير إلى معاني العدل والمساواة على نقوده لتكون إعلاناً وبياناً للرعية بمبادئ حكمه[٥]، ونصيحةً لنفسه وأعوانه ليحكموا بين الناس بالعدل، وينفذوا شرع الله فيهم. وتحمل في الوقت نفسه معنى الطاعة، فإذا كان السلطان ظلَ الله في أرضه، فينبغي أن يعلم الرعية أنَّ من أعطاه الله درجة الملوك والسلاطين، وجعله ظله في الأرض، فإنه يجب على الخلق محبته، ويلزمهم متابعته وطاعته، ولا يجوز لهم معصيته ومنازعته، وينبغي لكل من أتاه الله الدين أن يحب الملوك والسلاطين وأن يطيعهم فيما يأمرون[٦].

(الامام ابي حامد محمد ت٥٠٥هـ/١١١١م)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبط وتصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.؛ الطرسوسى (نجم الدين ابراهيم بن علي ت٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م)، تحفة الترك فيما يجب أن يُفعل في المُلك، تحقيق ودراسة، رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٢م.؛ مؤلف مجهول، آداب الملوك، كتبه المملوك بردبك من طبقة المستجدة الأشرفي، دراسة وتحقيق وتعليق محمد نصر مهنا، حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، المجلد ٢٢، ١٩٨٦م، ص ص١-٩.

(١) القلقشندي (ابو العباس أحمد بن علي ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ٥، دار الكتب، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ص ٤٤٦.

(٢) كتب أحد الولاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب منه مالاً كثيرًا ليبني سورًا حول عاصمة الولاية. فقال له عمر: ماذا تنفع الأسوار؟ حصنها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم.

(٣) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٥.

(٤) الصيرفي (الخطيب الجوهري علي بن داوود ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، نزهة النفوس والابدان في تواريخ أهل الزمان، ج ٣، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٣م، ص ٣١.

(٥) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٨٥.

(٦) الغزالي (الامام ابو حامد محمد ت٥٠٥هـ/١١١١م)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص٤٣.

وهناك من النصائح ما وجه إلى الحاكم من الرعية، مثل "كفى بالموت واعظاً" التي وردت على السكة النحاسية للسلطان الظاهر برقوق، ويرجع السبب في تسجيلها إلى وفاة أحد أبناء السلطان برقوق ويسمى الأمير شعبان، وكان لا يزال طفلاً صغيراً، وكانت وفاته في شهرربيع الأول٧٩٩هـ/ ديسمبر١٣٩٦م(١)، فوجد فيها القائمون على دار ضرب حماة فرصة لينالوا الأجر مرتين، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: "العبد الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة، له أجران"(٢)، لذا سكت هذه النقود وسجلت عليها هذه العبارة انفعالاً بهذا الحدث وتذكيراً للسلطان برقوق وغيره من الناس بأنّ الموت أمر قد قدره الله على كل شيء، وأنَّ الموت لا يفرق بين كبيرٍ وصغيرٍ(٣) وتنصحهم بالزهد في الدنيا والرضا بالقليل منها.

وتتعلق بالعدل نصيحة أخرى وردت على بعض العملات الإسلامية لمواجهة ظاهرة غش النقود نصها: "أمر الله بالوفاء والعدل"، لتذكر الناس بأوامر الله ورسوله في هذا الشأن من حيث الحفاظ على أوزان النقود وعدم كسرها، لأنَّ في ذلك بخساً لحقوق الناس، وإفساداً لسكة المسلمين المتداولة، وفي ضوء ذلك يتضح الدور المهم الذي قامت به النقود كجهاز إعلامي في مواجهة ظاهرة الغش والتزييف، باعتبارها الأداة الاقتصادية التي رغب المزيفون في غشها، لذلك كان استخدامها في التحذير حجة عليهم من أن يعتذروا بجهلهم، كما أنها كانت تمثل بياناً من الجهات المسئولة فيه نصيحة بالحفاظ على النقود وعدم الغش فيها، حتى لا يحدث الضرر للناس، وتهتز ثقتهم بالنقود المتداولة، مما يفقد النظام النقدي للدولة قوته في التداول(٤).

ومن محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها الصبر(٥):

---

(١) يري بعض الباحثين أن سبب تسجيل هذه العبارة يرجع الى خطر الغزو المغولي الذي لوح بقبضته نحو مصر خلال فترة حكم الظاهر برقوق. شفيق مهدي، مماليك مصر والشام نقودهم – نقوشهم – مسكوكاتهم – القابهم– سلاطينهم ٦٤٨–٩٢٢هـ/ ١٢٥٠–١٥١٧م، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٨م، ص ١٦٩.

(٢) البيهقي، الآداب، ص ٧٠، ٤.٧١ النووي، رياض الصالحين، ص ٤٦٨. رواه البخاري. وجاء في رواية أخري: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:" العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين". رواه البخاري ومسلم. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣، حديث رقم١٤١٦، ص ٤٠٥، ج ٤، رقم١٦١٦، ص ١٥٢.

(٣) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٤) عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها، ص ص ٣٨٨–٣٩٠.

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع: الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ص٢٥٩–٤.٢٧٢ البيهقي، الآداب، ص ص٤٧٣–٤٧٧. ورد ذكر الصبر فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، حتى لقد زادت على مائة موضع.أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، لباب الآداب، تحقيق احمد محمد شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٧م، ص ص٢٨٧–٢٩٢. وما ذلك إلا لأثره في تكوين الشخصية المجاهدة التى يجب أن تتحمل الأعباء. الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ١٠. ولدوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فكلما قلبت خلقاً أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر، فالعفة: صبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة، والحلم: صبر عن إجابة داعي الغضب، والجود: صبر عن إجابة داعي البخل ...الخ، وبذلك ترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ماله من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا والآخرة، فهو ليس من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا به، لذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة منها قوله: ﴿واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾ البقرة، الآية ٥٤، كما قال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. آل عمران، الاية ٢٠٠، وجعل الله تعالى للصبر فضائل كثيرة منها: أن الله يضاعف أجر الصابرين، ويوفيهم أجرهم بغير

وهو حبس النفس على ما تكره، واحتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم[1]، وقد أقسم الله تعالى بالعصر أن الإنسان لفي خسر، واستثنى من ذلك المؤمنين إذا عملوا الصالحات وتواصوا بالحق والصبر، فقال في محكم التنزيل: ﴿وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلاَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾ أي إنه سبحانه وتعالي جعل التواصي بالصبر من أخلاق المؤمنين، لذا ظهرت بعض النصائح ضمن الكتابات الإسلامية التي توصي بالصبر وتبين فضله من أمثلتها: "الصبر عند البلاء"، و"الصبر نعم الناصر، لكل شئ آخر"، و "من صبر قدر"، و "الصبر مفتاح الفرج"، و"الصبر عبادة"، وهذه النصائح تبين أن لا شئ في الوجود أصعب من الصبر، ومن الصبر يمكن أن تعرف مقدار البلاء، وإذا كان النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر كما أخبرنا رسول الله ﷺ، فإن الإنسان يصبر من أجل أن ينال النصر، فالحياة معركة، يتعارك فيها المؤمن مع النفس والأهل والناس والمال ... الخ، ومفتاح النصر فيها الصبر، الذي يأخذ بيد المؤمن إلى الفرج لما أصابه من ابتلاءات وكروب، وكلما زاد البلاء، ازداد المؤمن صبراً واحتساباً، وبالتالي يعظُم أجره عند ربه،

حساب، فكل عمل يُعرف ثوابه إلا الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَمَا يُوَفَى الصَابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾ الزمر، الاية ١٠، وجمع الله للصابرين أموراً ثلاثة لم يجمعها لغيرهم وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى: ﴿وَبَشّرِ الصّابِرِينَ (١٥٥) الّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنّا لِلّهِ وَإِنّآ إِلَيهِ راجِعُونَ (١٥٦) أُولئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِن رّبِهِم وَرَحمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ﴾ البقرة، الايات ١٥٥-١٥٧. كما وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في بيان فضل الصبر والحثّ عليه، وما أعد الله للصابرين من الثواب والأجر في الدنيا والآخرة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر". الألباني، صحيح سنن ابي داوود، حديث رقم ١٦٤٤، ص ٤٥٨. ؛ صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٥٨١٩، ص ١٠١٣.؛ صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، حديث رقم ٣٣٩٥، ص ٣٢٧. وعنه أيضاً أنه قال: "عجباً لأمر المؤمن كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم. الخطيب التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم٥٢٩٧، ص١٤٥٧، ١٤٥٨. الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٣٩٨٠، ص ٧٣٧.؛ صحيح الترغيب والترهيب، ج ٣، حديث رقم ٣٣٩٨، ص ٣٢٨. وروي عنه ﷺ أيضاً: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن- أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها"،رواه مسلم. الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج٣، حديث رقم٣٣٩٥، ص٣٢٧. قال رسول الله ﷺ: "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم". رواه ابن ماجه والترمذي. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، حديث رقم ٩٣٩، ص ص٦١٤-٦١٦. راجع: أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ص ٢٩٢-٢٩٤.؛ النووي، رياض الصالحين، ص ص ٢٣-٣٦.

(١) قسم اهل العلم الصبر الى ثلاثة أنواع رئيسية هي: الصبر على طاعة الله وأداء الواجبات، ويقصد بها المثابرة الدائمة على العبادات، لأن النفس تكره الكثير منها، ثم الصبر على المعاصي والحرمات، وهو حبس النفس عن الوقوع فيما نهى الله عنه، ويلي ذلك الصبر على المصائب والبليات وأقدار الله. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:" الصبر ثلاثة: فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية ". الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة،ج٢، حديث رقم ٣٧٩١، ص٢٦٤. ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، تحقيق محمد بن خليفة التميمي، *http://www.assakina.com/taseel/3172.html* ؛ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أنواع الصبر ومجالاته، مفهوم، واهمية، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريي للتوزيع والاعلان، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٠. ويذكر أن علي بن ابي طالب قال:" الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب". علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي، شرحه وضبط نصوصه الامام محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٩٠م، ص ٦٩٤. وذكر البعض ان الصبر نوعان: جسمي ونفسي، الجسمي هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية، والثاني نفسي وهو على نوعين: الأول صبر عن تناول مشتهى ويقال له عفة، والثاني صبر على تحمل مكروه أو محبوب. الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٣٢٦، ٣٢٧.

ويصبح أكثر قوة وقدرة على مواجهة ما قد يتعرض له من ابتلاءات مستقبلاً، فمن تلمح بحر الدنيا، وعلم كيف تُتَلّقى الأمواج، وكيف يصبر على مدافعة الأيام، لم يستهول نزول البلاء[١].

والنظرة الفاحصة للنصائح المتعلقة بالصبر تبين أنها وردت على تحف صنعت من مواد مختلفة، لها استخدام دائم في الحياة اليومية مثل الخزف والنسيج والتحف المعدنية، وأحياناً ذات طابع شعبي مثل شبابيك القلل[٢]، وتنسب هذه التحف إلى مناطق متباينة من العالم الإسلامي جغرافياً، كما تتباين الفترات التاريخية التي صنعت فيها، مما قد يرجح أن كتابات النصائح المسجلة عليها لا تعد انعكاساً لظروف سياسية أو اقتصادية محددة، وقد يكون الرابط الوحيد بينها حرص الفنان على استخدام الكتابات العربية في زخرفة منتجاته، وصياغتها على هيئة نصائح تحث عامة الناس على الصبر الذي لا يكتمل الإيمان إلا به[٣] أملا في ثواب الله تعالي، وهذا يعكس بالدرجة الأولى ثقافة المجتمع الذي عاش فيه صانعو هذه المنتجات، وقد يستثنى من ذلك عبارة "الصبر عبادة" التى وردت على طست باسم الناصر محمد بن قلاوون، إذ تعرض هذا السلطان إلى الكثير من المؤامرات التى أدت إلى عزله مرتين، فكانت بمثابة تذكرة له بأن فى صبره على ما يكره عبادة لله تعالى، ومثلها عبارة "الصبر نعم الناصر، لكل شيء آخر" التي وردت على قطعة نسيج تنسب إلى مصر في العصر المملوكي خلال القرن ٩هـ/ ١٥م، حيث شهد أواخر العصر الجركسي اضطرابات سياسية وعسكرية واقتصادية متنوعة، أضرت بالبلاد ضرراً كبيراً، فكان الناس في حاجة ماسة إلى مثل هذه النصيحة لكي تطمئنهم، وتصبرهم وتبشرهم بأن لا بد لكل شئ من نهاية.

ولما كان لله تعالي على عباده نعم كثيرة، وهو المستحق لأن يشكر عليها[٤] كان شكر المنعم واجباً [٥]، والشكر قيد النعم، فإن شَكرَ المسلم النعم اتسعت وبارك الله فيها وعظم الانتفاع بها[٦]، وإن كفر بها كان ذلك سبباً لنقصها وزوالها، وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة[٧]. ومن النعم العظيمة التي أنعم الله بها على المسلم الطعام، فقد جعل فيه حياته وقوته، كما جعل فيه لذته، ولذلك أمره الله بالحمد بعد تناوله، والشكر على إحسانه به، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٨]، فالله عز وجل ينادي المؤمنين في هذه الآية ويأمرهم بأمرين اثنين: الأمر الأول كلوا، والأمر الثاني اشكروا، لذا ظهرت على بعض

---

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ١٧٦.

(٢) كانت القلل تستخدم للحكام وأفراد الرعية علي حد سواء، والدليل علي ذلك الرنوك التي نقشت عليها.

(٣) قال رسول الله ﷺ: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله". الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج ٣، حديث رقم ٣٣٩٧، ص ٣٢٧.

(٤) الشكر هو تصور المُنعَم عليه النعمة واظهارها. الراغب الأصفهاني، الذريعة الي مكارم الشريعة، ص ص ٢٧٩-٢٨١.

(٥) السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ٤١٩.

(٦) مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى فى سورة إبراهيم، الآية ٧: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

(٧) قال الله تعالى فى سورة النحل، الآية ١١٢: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَت آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٧٢.

الأختام الفخارية كتابات تتضمن نصائح تحث المسلمين على شكر الله بعد الطعام مثل: "كل وأشكر"، و"كل واشكر مولاك"، و"بالشكر تدوم النعم"(١).

ومن الأخلاق التي تؤثر في الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي خلق الحياء(٢)، ولأهمية الحياء في الإسلام ظهرت نصيحة تحث عليه ضمن كتابات طبق خزفي من عصر الدولة السامانية نصها:

"حياؤك فاحفظه عليك فإنما يدل على فعل الكريم(حياؤه)" (٣)، وهي في الأصل بيت شعر(٤) يوجه الإنسان المسلم إلى اتخاذ الحياء خلقاً له والحفاظ عليه، ففيه دليل على مكارم الأخلاق، وهو منبع كل فضيلة، ولا يصدر عن صاحبه إلا الفعل الحسن والقول الطيب والعفة والنزاهة ... الخ.

---

(١) ومما يدخل في هذا المعنى قول الامام علي بن ابي طالب: "اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشعر". علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، ص٦٨٥.

(٢) هو انقباض النفس عن القبائح مما يبعث علي ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٢٨٨.؛ النووي، رياض الصالحين، ص ٢٧٠. وهو خلق الإسلام وشعبة من الإيمان كما صحَّ عن رسول الله ﷺ في قوله"إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الْحَيَاءُ". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، حديث رقم ٩٤٠، ص ٦١٦-٦١٩. وقوله:" الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٢٠.؛ البيهقي، الآداب، ص ١٣٠، ١٣١.؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج4، حديث رقم ١٧٦٩، ص ص ٣٦٩-٣٧٢. وفي رواية اخرى: "الحياء من الإيمان وأحيا أمتي عثمان". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، حديث رقم ١٨٢٨، ص٤٤٢، ٤٤٣. والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته، والإيمان والحياء قرناء، فقد قال رسول الله ﷺ: "الإِيمَانُ وَالْحَيَاءُ قُرَنَاءُ جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ". الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج ٣، حديث رقم ٢٦٣٦٥، ص ٦. وسر كون الحياء من الإيمان أن كل منهما داع إلى الخير، صارف عن الشر مبعد عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم، ومن التفريط في حق ذي الحق، كما يمنع الحيي من فعل القبيح أو قوله اتقاء للذم والملامة. ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٤٢. وإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٦٠. ومن هنا كان الحياء خيراً ولا يأتي إلا بالخير كما قال نبينا الكريم ﷺ:" الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقوله في رواية مسلم:" الحياء الخير كله" متفق عليه. النووي، رياض الصالحين، ص ٢٦٩. والحياء حياآن: أحدهما استحياء العبد من الله عز وجل عند الهم بمباشرة ما حظر عليه، والثاني استحياؤه من المخلوقين عند الدخول فيما يكرهون من القول أو الفعل، وكلاهما محمودان الا أن أحدهما فرض والثاني فضل. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٥٩، ٦٠. ويضيف بعض الفقهاء وجه ثالث هو الحياء من النفس. الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص٢٢١.

(٣) ينسب هذا البيت الى واحد من شعراء الدولة العباسية هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي أبو الفضل، كان حكيم اهل البصرة وواعظ مسجدها الكبير، ويعتبر من الرواد الذين ادخلوا الموعظة والحكمة في اشعارهم، فشعره كله أمثال وحكم وآداب، يدور أكثره حول التنفير من الدنيا ومتاعها، وذكر الموت والفناء، والحثّ على مكارم الإخلاق، وطاعة الله، ويمتاز شعره بقوة الألفاظ، والتدليل، والتعليل، ودقة القياس، اتهم بالزندقة فقتل عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م. أبو العلاء المعري، رسالة الغفران ومعها نص محقق لرسالة ابن القارح، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣م، ص ٤٣٦، ٤٣٧.
http://ar.wikipedia.org/wiki/؛
http://english.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?indexstartno=0&hflag=&pid=600682&bk_no=717&startno=4 ؛ http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=111297

(٤) يسبق ذلك البيت قول الشاعر: "اذا قل ماء الوجه قل حياؤه/ ولا خير في وجه اذا قل ماؤه". ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٥٩.؛ الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص٢٢٠.؛ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٢٨٥.

ومن أفضل أخلاق الإسلام لزوم الصمت وحفظ اللسان[١]، وهو قلة الكلام في كل شئ عدا عبادة الله تعالى وذكره[٢]، وقد وجدت نصيحة على طبق من الخزف الساماني نصها:

"إن السلامة ما صمت وإنما يبدي بطانة ذى العيوب كلامه"[٣] تحذر الناس من كثرة الكلام الذى لا فائدة منه، وتحثهم على التزام الصمت، وتبين لهم أنَّ في ذلك سلامة لهم وستر لعيوب المرء منهم[٤].

ويتعلق بحفظ اللسان حفظ الأسرار وكتمانها[٥]، وكتمان السر من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح[٦]، الصلاح[٦]،

---

(١) البيهقي، الآداب، ص ص ٢٣١-٢٣٦.؛ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ص ٢٦٩-٢٧٨.

(٢) روي أنَّ رسول الله ﷺ قال: "عليك بحسن الخلق و طول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما". الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، حديث رقم ١٩٣٨، ص ص ٥٧٦-٥٧٨. وقال أيضا: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت". التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٤٢٤٣، ص ١٢٢٤.؛ الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، ج ١، حديث رقم١٦٦، ص١٨٠. وجاء في المأثور عنه ﷺ أنه قال: "رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم". الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص٢٤٧. حديث حسن. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، حديث رقم ٨٥٥، ص ٥١٠. وقيل أن السلامة فوق الغنيمة، لأنَّ السلامة أصل والغنيمة فرع، كما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من سرّه أن يَسلَم فليلتزم الصمت". أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٢٧٢. فينبغي على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، والواجب أن يروِّض نفسه على ترك ما أتيح له من النطق لئلا يقع في المحظورات. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٥٢. فالسُّنَّة الإمساك عنه لأنَّه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة. النووي، رياض الصالحين، ص ٥٢٣. وكان للصمت نصيب كبير من آداب العرب فقالوا على لسان لقمان: "الصمت حكم وقليل فاعله". ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٤٣. كما قالوا:" استكثر من الهيبة صامت"، وقال رجل من كلب طويل الصمت: "اسكت فاسلم، واسمع فاعلم"، والسلامة لا يعدلها شيء. الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، القاهرة، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ج١، ص١٨٤.

(٣) يقول الشاعر مكي بن سوادة: تسلم بالسكوت من العيوب فكان السكت أجلب للعيوب
وقال آخر: الصمت حسن والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
وإذا ندمت على سكوتي مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٣، ٨٣.

(4) http://mimi.maktoobblog.com/543120/%D9%81%D9%8A-%D8%B1%D8%AD%D8%A7%D8%A8-%D9%86%D8%B9%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%85%D8%AA/

(٥) الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٩.؛ ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ص ١٩٧-٢٠٠.

(٦) روي عن النبي ﷺ أنه قال: "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فكل ذي نعمةٍ محسودٌ". الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٩. ؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٣، حديث رقم١٤٥٣، ص ص ٤٣٦-٤٣٩.؛ صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٩٤٣، ص ٢٢٣، ٢٢٤. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أنه قال: "سرّك أسيرك، فإذا تكلمت به صرت أسيره"، وقال بعض الأدباء: "من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشى سرّه كان الخيار عليه"، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "القلوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سرّه" الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٨٠. أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ص ٢٣٨-٢٤٠.

فمن كتم سره كانت الخيرة في يده، ومن أنبأ الناس بأسراره هان عليهم وأذاعوها[١]، وقد ظهرت نصيحة تحمل هذا المعني ضمن كتابات الخزف السامراني نصها: "إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك بين الناس يعلمه الغير"[٢].

ومن أخلاق المسلم التوكل على الله في الرزق[٣]، وقد ظهرت عبارة "ضمن الله رزق كل أحد" على بعض دراهم دولة بني قرمان، وفيها نصيحة تُعلم المسلم العاقل بأن الأرزاق قد فرغ منها وضمنها العلي الوفي على أن يوفرها لعباده وقت حاجتهم إليها[٤]، لذا لا يجب على المسلم الاهتمام الزائد بالرزق بما فيه شغل للقلوب عن علام الغيوب، الغيوب، وعدم القيام بحق المعبود، فالمسلم إذا أيقن أن الرزق بيد الله وأنه أتيه لا محالة تفرغ لأداء المهمة التي خلقه الله من أجلها؛ وهي العبادة بمفهومها الشامل.

ومما يتصل بالرزق القناعة[٥]، والمسلم القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزيزاً، فعندما يشعر بالقناعة والرضا بما قسمه الله له يكون غنياً عن الناس عزيزاً بينهم لا يُذل لأحد منهم، أما طمع المرء ورغبته في الزيادة يجعله ذليلاً إلى

---

(١) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢٠٠.

(٢) حظي كتمان السر باهتمام أدباء وشعراء العرب، ومما قالوا فيه ويدخل ضمن المعني المذكور ما يلي:

إِذَا المَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسانِهِ ... وَلاَمَ عَلَيهِ غَيرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْر المَرْءِ عَنْ سرِّ نَفْسِهِ ... فَصدرُ الذِي يُستَودعُ السِّرَّ أَضْيَق

الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٧٩. وقال آخر:

وَلاَ تَنْطِقْ بِسِرِّكَ كُلُّ سِرٍّ ... إِذَا مَا جَاوَزَ الإِثْنَينِ فَاشِي

أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص٢٤٠، ٢٤١.

(٣) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ص ١٦١-١٦٥. يدرك المسلم أن الله تعالى: ﴿هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ سورة الذاريات، الآية ٥٨. بل ويؤمن بأنه عز وجلا: ﴿لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سورة الحج، الآية ٥٨. وعنده يقين بأن الله كتب الرزق لكل خلقه، وأن كل نفس لها رزقها ولن تتوفى حتى يأتيها هذا الرزق كاملاً، فالرزق مقدر معلوم؛ فقد روي عن رسول ﷺ أنه قال: "إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله". التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٥٣١٢، ص ١٤٦١؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم١٦٣٠، ص ٣٣٦. وقال أيضاً: "إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب". ابن قتيبة الدينوري (ابو محمد بن عبد الله بن مسلم ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.، ج٣، ص١٨٣.؛ التبريزي (محمد بن عبد الله)، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٥٣٠٠، ص ١٤٥٨.؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٢٠٨٥، ص ٤١٩، ٤٢٠. وجاء في المأثور: "إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم، يحملون أرزاقهم على درجاتهم". عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، دار الريان للتراث، القاهرة، د.ت.، مجلد ٣، ج ٦، حديث رقم ١١٣١، ص٤٥٤.

(٤) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٥) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج ٣، ص ١٨٣- ١٩٠. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ص ١٥٦-١٦١. الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ص ٣٢٠-٣٢٢. أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٢٧٨، ٢٧٩. السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ص ٤١٩-٤٢١. هي الرضا بما قسمه الله تعالى ولو كان قليلاً دون الكفاية، وإيثار القليل مع حرية النفس، يقول الرسول ﷺ: "قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه". رواه مسلم والترمذي. البيهقي، الآداب، حديث رقم ١٠٨٥، ص ٤٨٠.؛ النووي، رياض الصالحين، ص ٢١٧، ٢١٨.؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، حديث رقم ١٢٩، ص ٢٥١، ٢٥٢. ويقول أيضا: "طوبى لمن هُدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً". رواه الترمذي والحاكم. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، حديث رقم١٥٠٦، ص ١٠، ١١. قيل إن الكفاف هو ما كف عن السؤال، وقيل شبع يوم وجوع يوم، أو كان عندك

الناس فاقداً لعزته، لذا قيل "عز من قنع وذل من طمع"، وهي النصيحة التي وردت على بعض الفلوس النحاسية في العصر الإسلامي، كما وردت نصيحة أخرى مثلها تحث على القناعة نصها "اقنع تعز"[١] على أحد شبابيك القلل المصرية.

ومن أسمى الأخلاق وأحبها إلى الله تعالى خلق العفة[٢]

وقد وردت نصيحة تحث على العفة على أحد شبابيك القلل المصرية التي تنسب إلى العصر المملوكي نصها: "عف تعاف"[٣] وهى اقتباس من حديث نبوى شريف تبين أنَّ من عفَّ عن محارم الناس عفَّ أهله ومن لا فلا، لأنَّ الجزاء من جنس العمل جزاء وفاقاً[٤]. وتعكس هذه النصيحة بعض الأمراض الاجتماعية الخبيثة التي انتشرت في مصر خلال العصر المملوكي بين جميع الطبقات- حكاماً ومحكومين- من أهل الدنيا والدين، فقد انتشر البغاء وجعل المماليك الدعارة مهنة تحظى برعاية الدولة، وفُرضت على العاملين في هذه المهنة ضريبة كانت تدر دخلاً كبيراً للخزانة السلطانية[٥].

ما يكفيك أو يأتيك من غلة أوضيعة ما يكفيك يوما بيوم أو عاما بعام وما بينهما. السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ٤٢٠. وتعد من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً، وليس شئ أروح للبدن من الرضا بالقضاء والثقة بالقسم، ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء طلباً للفضل، لكان الواجب على المسلم العاقل ألا يفارق القناعة على أي حالة من الأحوال، ومن عُدِم القناعة لم يزده المال غنى، فتمكن المرء بالقليل مع قلة الهم أهنأ من الكثير ذي التَّبعة ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١٥٧، ١٥٨.

(١) سئل بشر بن الحارث عن القناعة فقال: لو لم يكن فيها إلا التمتع بعز الغنى لكان ذلك يجزى، ثم أنشأ يقول:

أفادتنا القناعة أى عز ولا عز أعز من القناعة

السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ٤٢١.

(٢) العفة اصطلاحا هي الكف عن محارم الله كافة، ولكن الشائع أنها تعني التنزه عن الرذيلة والفحشاء بين الرجال والنساء، أي البعد عن الزنا. الراغب الأصفهاني، الذريعة الي مكارم الشريعة، ص ٣١٨، ٣١٩. وقال الله عز وجل في محكم التنزيل فى سورة النور، الآية ٣٣: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: "اللهم إني أسألك العفة والعافية في دنياي ودينى وأهلي ومالي".الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ١٢٧٤، ص ٢٧٣، ٢٧٤. وروي أنه ﷺ قال: "عفوا تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شئ بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض". رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا، ورواه أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد حسن. السفاريني، غذاء الألباب ، ج ٢، ص ٣٤٣.؛ الألباني، ضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٣٧١٤، ص ٥٤٤.

(٣) يقول الإمام الشافعى:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دين فإن أقرضته كان الوفا من أهل بيتك فاعلم.

(٤) يقول الشاعر: ومن يعف تقوي عن محارم غيره يعف أهله حقاً وان يزن يفسد

السفاريني، غذاء الألباب، ج ٢، ص ٣٤٣، ٣٤٤.

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ص٢٤٧-٢٥٠.

والجود[1] خلق المسلم، والسخاء والكرم شيمته[2]، وقد ظهرت نصيحة ضمن الكتابات الإسلامية على عدة أطباق من الخزف الساماني نصها: "الجود من أخلاق أهل الجنة" لتحث الناس على الجود، وتبين لهم أن من أراد الجنة فعليه أن يتحلى بخلق الجود.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة عن:

– الدور الإعلامي المهم الذي قامت به الآثار الإسلامية عبر ما سجل عليها من كتابات ونقوش سواء على جدران المنشآت الإسلامية أوأسطح التحف الفنية والنقود في نشر المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية التي لا غنى عنها لصلاح الفرد والمجتمع، حيث تأخذ بيد المسلمين إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

– أن الفنانين والخطاطين على امتداد العصر الإسلامي كان لديهم من الثقافة والاطلاع على مؤلفات المعارف الدينية والأخلاقية والآداب ما سمح لهم باستخدام العديد من الاقتباسات من أحاديث نبوية شريفة، إضافة إلى أبيات من الشعر والحكم والأمثال في زخرفة منتجاتهم. وكان بعضهم على قدر من التدين والالتزام بتعليمات الشريعة الإسلامية، فأقبلوا على بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدل على الخير استجابة لما أمر به رسولنا الكريم ﷺ لإصلاح أحوال المسلمين وعلاج الجوانب السلبية في بعض المجتمعات الإسلامية، وكانت وسيلتهم في ذلك منتجاتهم الفنية.

وتتوفر في هذه الوسيلة التي تعتمد في توجيه النصائح للعامة والخاصة على بثّها ضمن الزخارف الكتابية للمنتجات الفنية، الشروط والآداب اللازمة التي نص المُشرع عليها، فالحامل على النصيحة الإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته، وليست رياء ولا ابتغاء لشهرة أو سمعة أو افتخاراً فالناصح غير معلوم، كما أنها بعيدة عن

---

(١) ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ص ٢٤٦-٢٤٥.؛ أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ص ٧٦-١٤٦.؛ الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٤١٣، ٤١٤.؛ النووي، رياض الصالحين، ص ص ٢٢٤-٢٣٠.؛ ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ص ص١٦٧-١٦٩.

(٢) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ص٧٦-٧٩. والمسلم لا يكون شحيحاً ولا بخيلاً، فدعوة الإسلام إلى الجود والإنفاق مستفيضة مطَّردة، وحربه على البخل والشحّ موصولة مُنَّقدة، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة، الآية ٢٧٤: ﴿الَذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ سِراً وعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وكان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ". رواه البخاري التبريزي، مشكاة المصابيح، حديث رقم ٢٠٩٨، ص ٦٤٨.؛ الألباني، صحيح سنن النسائي، حديث رقم٢٠٩٤، ص٩٠، ٩١. وعنه أنه ﷺ قال: "ان الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها". متفق عليه. ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ص ١٦٨.؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ١٧٤٤، ص ٣٥٩. وعنه أنه قال: "الجود شجرة من أشجار الجنة من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار".ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢٥٠.؛ الراغب الأصفهاني، الذريعة الى مكارم الشريعة، ص ٤١٣. وروي انه ﷺ قال: "ألا إن كل جواد في الجنة حتم على الله وأنا به كفيل ألا وإن كل بخيل في النار حتم على الله وأنا به كفيل ، قالوا: يا رسول الله من الجواد ومن البخيل؟ قال: الجواد من جاد بحقوق الله في ماله والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه، وليس الجواد من أخذ حراما وأنفق إسرافا". أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٨٢، ٨٣.؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم ٥٢٥٩، ص ٤٢٠، ٤٢١.

التشهير والشماتة، كما تتوفر فيها شروط السرية والكتمان، وتتميز هذه الطريقة بالحكمة والموعظة الحسنة واللين والأمانة، ولا يخفى علينا خفة البيان فيها.

– أن نصيب الآداب والأخلاق بصفة عامة كان موفوراً في كتابات النصح على التحف الفنية والعملات، ويرجع ذلك إلى ما يتوفر لها من سهولة وسرعة في الانتشار والانتقال من مكان إلى آخر، مما يضمن وصول النصيحة إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وتمت صياغتها لتكون بمنزلة دعوة بالحسنى إلى الرقي الأخلاقي، ودعوة إلى الحكام أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته، ودعوة للناس للتحلي بالصبر والحياء والصدق والعفة، والعدل والحياء و القناعة والجود ...الخ اقتداء برسول الله ﷺ الذي بُعث إلى الإنسانية ليتمم لها مكارم الأخلاق، في الوقت الذي كان فيه نصيب العبادات من كتابات النصح بصفة عامة قليلاً، ويستثنى من هذه القلة النصائح المتعلقة بالعبادات المالية كالزكاة والصدقات التي كان لها نصيب كبير من النقود الإسلامية لما لها من أهمية في تحقيق التكافل الاجتماعي.

– حسن اختيار الفنان المسلم وتوفيقه إلى حدٍّ ما في اختيار أماكن كتابة النصائح، بحيث تتناسب مع وظيفة المكان المسجلة عليه، فسُجلت النصائح المتعلقة ببناء المساجد والصلاة على جدران المساجد وبعض المنشآت الأخرى التي تؤدى بها الصلاة، ووردت النصائح المتعلقة بطلب العلم على جدران المدارس، وظهرت النصائح الخاصة بالزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله على النقود باعتبارها الأداة التي يتم الإنفاق بها...الخ، وهذا يدعم فكرة أن الكتابات الإسلامية كانت تتم وفقاً لخطة يتم إعدادها مسبقاً.

يضاف إلى ذلك توفيق الفنان المسلم في اختيار الاقتباسات من الأحاديث النبوية الشريفة التي تخدم النصيحة التي يريد نشرها، ونجاحه في صياغة خلاصة بعض هذه الأحاديث واختزالها أحياناً إلى عبارات وجمل صغيرة جرت علي ألسنة الناس بسهولة.

– ارتباط تسجيل نصوص النصائح بالحركة الثقافية والأدبية وتطور علوم الدين، فيلاحظ أن تسجيل النصائح التي وردت على هيئة حكم وأمثال وبعض أبيات الشعر حدث منذ القرن (٢هـ/٨م)، في حين تأخر ظهور النصائح المقتبسة من الأحاديث النبوية الشريفة إلي القرن (٥هـ/١١م)، ويرجع ذلك إلى تأخر التدوين الرسمي للسنة النبوية الشريفة وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، فالمعروف أن فكرة جمع الأحاديث لم تأخذ شكلها النهائي إلا في النصف الأول من القرن (٢هـ/٨م) وازدهرت في القرن(٣هـ/٩م)، وانتشرت أقوال وأحاديث نبينا الكريم في القرن (٤هـ/١٠م)، فكان منطقيا ألا تظهر ضمن الكتابات الإسلامية على العمارة والفنون والنقود إلا في القرن (٥هـ/١١م)، في الوقت الذي عرف فيه العصر العباسي الأول منذ القرن (٢هـ/٨م) نهضة ثقافية كبيرة وانتشار الأمثال والحكم والآداب، وظهور بعض الشعراء الذين ادخلوا الموعظة والحكمة في أشعارهم، وبعض الأدباء الذين عملوا على جمع تراث العرب والإسلام وتكريسه لخدمة أغراض عملية، لذا شهد هذا القرن استخدام كتابات الحكم والأمثال والشعر كنصائح على المنتجات الفنية.

– أن الدولة السامانية (٢٠٤–٣٩٥هـ/٨١٩–١٠٠٥م) كانت الوحيدة من بين الدول الإسلامية الكثيرة صاحبة النصيب الأكبر من كتابات النصح التي وردت على نوع جديد من الخزف الإسلامي لم يُعرف من قبل، وكان إنتاجه حكراً لها وقاصراً عليها، ومعظم هذه النصائح يغلب عليها الطابع الأدبى، فهى عبارة عن حكم وأمثال وبعض أبيات الشعر، وهذا يمثل انعكاساً لمدى ازدهار النواحي الاقتصادية والثقافية لهذه الدولة خلال القرنين ٣،

٤هـ/٩، ١٠م، التي يذكر التاريخ لها اهتمامها بالعلم والعلماء ورعايتها للآداب، وقيامها بنهضة فنية رائعة في العمارة، وصناعة الخزف والمنسوجات الحريرية، وصناعة الورق التي انتشرت في سمرقند، ومنها انتشرت في بقية العالم الإسلامي، هذا فضلاً عن اهتمامها باقتناء الكتب، فالمطّلع على مكتبة الدولة يجد ما لا يوجد في سواها من كتب المعارف والعلوم.

– أن فكرة الإعلام الموجه الذي يشهده حالياً الكثير من المجتمعات الحديثة، قد عُرف واستخدم في العصر الإسلامي، حيث لجأ بعض حكام الدويلات الإسلامية عند تعرضهم لأزمات سياسية واقتصادية إلى اتخاذ الكتابات المسجلة على النقود وسيلة لبث رسائل وفكرة معينة تستهدف فئة محددة من المجتمع لمساعدة الدولة على تجاوز أزمتها. وفي المقابل كان هناك نوع من الإعلام الحر مارسه الفنانون والصناع على منتجاتهم الشعبية التي لم تخضع لرقابة الدولة، مما مكنهم من بثّ العديد من النصائح التي هدفت بالدرجة الأولي إلى إصلاح الأحوال الدينية والاجتماعية، ونادراً ما امتدت إلى الأحوال السياسية.

– أن الغرض الرئيسي لنصوص النصائح كان الأخذ بيد الفرد وتأهيله لما خُلق له من الخلافة المتضمنة للعبادة ولحمل الأمانة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والنصيحة الأخيرة هنا أنقلها عن الإمام راغب الأصفهاني في كتابه الذريعة إلى مكارم الشريعة فقد قال: "مكارم الشريعة مبدؤها طهارة النفس بالتعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة، ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان وباستعمال العدالة تصح الأفعال، ومن حصل له ذلك فقد تذرع المكرمة المعنية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، وصلح لخلافة الله تعالى عز وجل، وصار من الربانيين والشهداء والصديقين، واعلم أن العبادة أعم من المكرمة، فإن كل مكرمة عبادة وليست كل عبادة مكرمة، والفرق بينهما أن للعبادات فرائض معلومة وحدوداً مرسومة، وتاركها يصير ظالما متعديا، والمكارم بخلافها، ولن يستكمل الإنسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظائف العبادات.

حسام عويس طنطاوي

قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة عين شمس

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

اللوحات

لوحة (١) كتابة أعلى مدخل المدرسة المهمندارية بالقاهرة (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) نصها "من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل"، عن
http://archnet.org/library/images/oneimagelarge.jsp?location_id=4744&image_id=62562

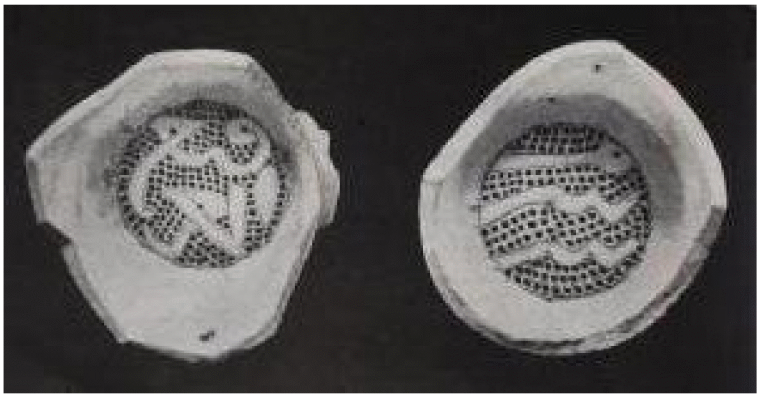

لوحة (٢) شباكان قلة من الفخار غير المطلي ينسبان الي مصر في العصر المملوكي، محفوظان بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، يزينهما كتابات نسخية نصها: "سر من شرب"، "اقنع تعز"، عن:
Olmer, Les Filtres de Gargoulettes, Catalogue General du Musee Arabe;
http://tawfekhegazy.yoo7.com/t188-topic

لوحة (٣) شباك قلة من الفخار غير المطلي تنسب الي مصر في العصر المملوكي، محفوظ بدار الآثار الإسلامية بالكويت يزينه كتابات نسخية نصها: "فاز من اتقا"، عن: أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية.

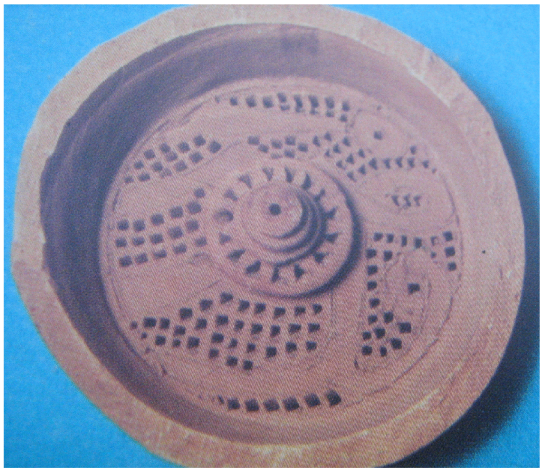

لوحة (٤) شباك قلة من الفخار غير المطلي تنسب الي مصر في العصر المملوكي، محفوظ بدار الآثار الإسلامية بالكويت يزينه كتابات نسخية نصها:"من صبر قدر"، عن: أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية.

لوحة (٥) شباك قلة من الفخار غير المطلي تنسب الي مصر في العصر المملوكي، محفوظ بدار الآثار الإسلامية بالكويت يزينه كتابات نسخية نصها:"عف تعاف"، عن: أحمد عبد الرازق أحمد، شبابيك القلل الفخارية.

لوحة (٦) طبق من الخزف ينسب الي نيسابور خلال القرن(٤هـ/١٠م) محفوظ في متحف المتربوليتان، عليه كتابة نصها" التدبير قبل العمل يؤمنك من الندامة اليمن والسلامة"، عن:
http://www.metmuseum.org/Collections/search-the-collections/140009172

لوحة (٧) طبق من الخزف ينسب الي نيسابور خلال القرن(٤-٥هـ/١٠-١١م) محفوظ في متحف اللوفر عليه كتابة نصها" العلم أوله مر مذاقه ولكن اخره احلي من العسل السلامة"، عن:
http://en.wikipedia.org/wiki/File:Dish_epigraphic_Louvre_AA96.jpg.

لوحة (٨) طبق من الخزف ينسب الي نيسابور خلال القرن(٤هـ/١٠م) محفوظ ضمن مجموعة ناصر الخليلي، عليه كتابة نصها "الجود من اخلاق أهل الجنة"، عن: روجرز، فنون الإسلام كنوز من مجموعة ناصر الخليلي.

لوحة (٩) طبق من الخزف ينسب الي نيسابور خلال القرن(٤هـ/ ١٠م) محفوظ ضمن مجموعة ناصر الخليلى عليه كتابة نصها "الحمد بيقا للفتى والمال لا بيقا لأصحابه، علي بن احمد"، عن:
روجرز، فنون الإسلام كنوز من مجموعة ناصر الخليلي.

لوحة(١٠) مشكاة من الخزف تنسب إلى مدينة أزنيك خلال القرن ١٠هـ/١٦م، محفوظ ضمن مجموعة متحف والتر للفن *The Walters Art Museum*، عليه كتابة نصها "عجلوا بالصلاة قبل الفوت والتوبة قبل الموت". عن:
http://art.thewalters.org/detail/27801/iznik-fritware-mosque-sphere/

لوحة (١١) قطعة من نسيج الكتان تنسب الي مصر في العصر المملوكى خلال القرن (٩هـ/ ١٥م) محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، عليها كتابة نسخية مكررة نصها: "الصبر نعم الناصر، لكل شئ آخر"، عن: أحمد عبد الرازق أحمد، الفنون الإسلامية فى العصرين الأيوبى والمملوكى.

لوحة (١٢) مطرقة باب تنسب الي شمال العراق أو جنوب شرق الأناضول خلال القرن (٧-٨هـ/ ١٣-١٤م)، محفوظة بدار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني، عليها كتابة نصها "عجلوا بالصلاة قبل الفوت، عمل رافع الدين والتوبة قبل الموت، صدق"، عن: حصة صباح السالم، كنوز الفن الإسلامي.